

(6)

دور الفلسفة في فهم النصوص الدينية من وجهة نظر المدرسة التفكيكية.. عرضٌ ونقدٌ

حسين مظفري⁽¹⁾

الخلاصة

موضوع هذه المقالة عرض ونقد دور الفلسفة في فهم النصوص الدينية من وجهة نظر المدرسة التفكيكية؛ فبعد أن عرّفت هذه المدرسة في بداية المقالة إجمالاً، أشرت إلى موقف أصحاب هذه المدرسة المختلفة بالنسبة إلى دور الفلسفة في فهم النصوص الدينية وأدلتهم، فبيّنت أنهم بعد التأكيد على ضرورة التعقل لفهم الدين، يفصلون بين التعقل والتفلسف، ويدّعون أنّ التفلسف ليس بضروريّ في هذا المجال، ثمّ إنهم تارةً يقبلون تأثير الفلسفة في فهم النصوص الدينية على مستوى كونها آلهً، وتارةً ينكرون لهذا التأثير الإيجابي، وأخرى يدّعون أنّ الفلسفة مانعٌ وحجابٌ لفهم النصوص الدينية. أمّا نحن بعد التعرّض لأدلتهم في هذا المجال والمناقشة فيها ونقدها، وصلنا إلى أنّ التفلسف هو شعبةٌ من التعقل، بالإضافة إلى أنّ التفلسف يؤثّر تأثيراً إيجابياً في فهم النصوص الدينية؛ إذ لا يمكن فهم بعض المعارف العقلية في الدين للأفراد العاديين بدون التفلسف، كوحده - تعالى - غير العددية، وكونه مقدّماً على الزمان والمكان، وكونه مع كلّ شيءٍ لا بمقارنة، ومبايناً عن كلّ شيءٍ لا بمزايلة، وكونه أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا وكون أوليته عين آخريته وظاهريته عين باطنيته وهكذا.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة، النصوص الدينية، المدرسة التفكيكية، التعقل،

التفلسف

(1) الدكتور حسين مظفري، إيران، أستاذٌ مساعدٌ في قسم الفلسفة، مؤسّسة الإمام

الخمينيّ للتعليم والأبحاث.

h.mozaffari48@gmail.com

The Role of Philosophy in Understanding Religious Texts from the *Tafkik* School's point of view... Presentation and Criticism

Dr.Hossein Mozaffari ⁽¹⁾

Abstract

The topic of this article is a presentation and criticism of the role of philosophy in understanding religious texts from the *Tafkik* School's point of view. After I give an overall definition of this school at the beginning of the article, I referred to its followers' views regarding the role of philosophy in understanding religious texts and their evidence. After emphasizing on the need for rationality to understand religion, I explained how they separate between prudence and philosophizing. They claim that philosophizing is not necessary in this matter, and then they sometimes accept the influence of philosophy in understanding religious texts instrumentally, at times they deny this positive effect, and some of them claim that philosophy is a barrier and a veil to understanding religious texts. As for us, after discussing and criticizing their evidence in this matter, we have come to the conclusion that philosophy is a branch of reasoning, in addition to that philosophizing has a positive effect on understanding religious texts. It is not possible to understand some of the rational knowledge in religion for ordinary people without philosophizing, such as God's non-numerical oneness, being ahead of time and space, being with everything not by comparison, being different from everything not by equilibrium, being first and last, evidently and objectively, and so on.

Key words: Philosophy, religious texts, the *Tafkik* School, reasoning, philosophizing.

(¹) Assistant Professor, Department of Philosophy, Imam Khomeini Foundation for Education and Research, Iran.

المقدمة

المدرسة التفكيكية إحدى المدارس التي ظهرت في القرن الهجري الأخير، في مجال منهج معرفة الدين في الوسط الشيعي، بيد الشيخ الميرزا مهدي الأصفهاني، لما هاجر من النجف الأشرف إلى أرض خراسان وبنى مدرسته التي سميت بعد عشرات من السنين بـ "المدرسة التفكيكية" في مدينة مشهد - حيث مرقد الرضا عليه السلام - التي تعدّ عاصمة الاتجاه التفكيكي ومركز إشعاعه الأوّل، وقد تتالت أجيال التفكيكيين حتى وصلت إلى عصرنا الحاضر، حيث يتزعم حركتهم اليوم الأستاذ محمدرضا الحكيم، صاحب كتاب "الحياة" المعروف.

تقوم فكرة التفكيك على ضرورة فصل المناهج المعرفية فصلاً تاماً تقريباً، واعتبار الخلط المنهجي في المعرفة الدينية أكبر خطأ تاريخي وقع فيه المسلمون، ويعني التفكيكيون بفصل المنهج الفلسفي القائم على البراهين العقلية المحضة عن المنهج الديني القائم على فهم نصوص الوحي من جهة، وفصل المنهج الديني المذكور عن المنهج العرفاني الكشفي القائم على شهود القلب من جهة أخرى، فلا يمكن فهم الدين عن طريق العقل الفلسفي، كما لا يمكن بلوغه من خلال قلوب الإشراقيين الشهوديين.

تبيين هذا الكلام ونقده يطلب مجالاً آخر لسنا الآن بصدده، ونحن في هذه المقالة سنبيّن "دور الفلسفة في فهم النصوص الدينية من وجهة نظر هذه المدرسة" ثمّ نقده. وقبل الخوض في صلب الموضوع لا بدّ أن نلتفت إلى أنّ أصحاب هذه المدرسة بعد الاتفاق على عدم ضرورة دراسة الفلسفة لفهم النصوص الدينية، لهم ثلاثة مواقف: يفهم من بعض كلماتهم أنّهم يقولون إنّ

الفلسفة حجابٌ ومانعٌ لفهم الدين، وفي موضعٍ آخر، ينفون التأثير الإيجابي للفلسفة في فهم الدين وفي موقفٍ ثالثٍ يقبلون هذا التأثير على نحو الإعداد لا الإيجاب؛ ولذلك سنتتبع كلماتهم على هذا الترتيب، ثم نشير إلى بعض الإشكاليات التي ترد عليها.

وقبل الدخول في صلب الموضوع لا بدّ أن نعيّن مرادنا من مفردتي: الفلسفة والتعقل، فنقول: مرادنا من الفلسفة، العلم العقليّ الخاصّ الذي يبحث عن أحكام الوجود الكليّة، ومقصودنا من التعقل، مطلق التفكر في شتى مجالات الحياة، وفي مختلف العلوم والمعارف.

ضرورة التعقل لفهم الدين

لا خلاف بين التفكيكيين في أنّ التعقل في فهم الدين ونصوصه لازمٌ وضروريٌّ؛ لكنهم يرون فرقاً بين "التعقل" و"التفلسف" حيث يقول بعضهم إنّ التعقل أعمّ من التفلسف بمرتبين؛ لأنّ التعقل أعمّ من الاستدلال، والاستدلال أعمّ من الفلسفة. [حكيمى، مكتب تفكيك، ص 358؛ اجتهاد وتقليد در فلسفه، ص 94] ويذهب بعضهم إلى أنّ العقل ليس كلّه منحصرًا في الفلسفة [سيدان، مكتب تفكيك يا روش فقهاى اماميه، انديشه حوزه، آذر ودى 78، ص 100 و101]. يقول السيّد الحكيمى في هذا المجال: «ما له شأنٌ وأهميّةٌ في أمر الدين وفهم حقايقه ومعارفه - وحتى أخلاقه وأحكامه - هو المنهج العامّ والبناء؛ يعني التعقل والاستدلال، والوصول إلى فهمٍ وإيمانٍ عقليّ، لا الإيمان الفلسفيّ بالضرورة، أي فلسفةٍ كانت، كما أنّ الإيمان الفلسفيّ ليس هو المستوى الأعلى من الإيمان، بل هو نوع تصديقيّ، وبينه وبين الإيمان القلبيّ الراسخ مسافةٌ. نعم، التعقل لازمٌ لفهم الدين؛ لأنّ الدين كان موجودًا قبل حدوث المدارس الفلسفيّة، وقد بلغ

الكثير من الناس ذروة المعارف الدينية والقرآنية، حيث لم يكن هناك اسم من هذه المدارس الفلسفية والعرفانية، ولم تقرع هذه المصطلحات والمفاهيم أذانهم» [حكيمي، مكتب تفكيك، ص 359].

بعد ذكر هذه المقدمة، نشير إلى آرائهم في ثلاثة مستويات:

المستوى الأول: الفلسفة مانعٌ وحجابٌ لفهم الدين

أشدّ موقفٍ لأصحاب التفكيك في هذا المجال، هو أنهم مضاعفاً إلى عدم لزوم الفلسفة لفهم الدين، يرون أنّ الاستفادة من الفلسفة لفهم الدين توجب بعد الإنسان وحرمانه عن فهم حقائق الدين ومعارفه الخالصة. وللتفكيكيين في هذه الساحة تعابير وأدلةً مختلفةً نشير إليها فيما يلي:

1- الفلسفة توجب البعد عن فهم الحقائق الدينية

لقد صرّح الميرزا مهدي الأصفهاني في بعض كتبه وآثاره أنّ المعارف البشرية والحكيمة هي أعظم الحجب، وتخليّة الذهن من المفاهيم والمعقولات الفلسفية من أوجب الواجبات [الأصفهاني، إعجاز القرآن، ص 13؛ التقريرات، ص 23 و24]، وعدّ سلوك مسلك البرهان في موضع آخر من كلامه موجّباً للبعد عن فهم حقائق الدين المبين، فقال: «وبالجملة فطريق البرهان أكمل من القفا، وتبعيدٌ للطريق وإضلالٌ عن النهج القويم والصراط المستقيم والفطرة التي فطر الله الخلق عليها، والحنيفية التي دعت الأنبياء إليها، بخلاف طريق أهل البيت عليهم السلام؛ إذ هو طريقٌ واضحٌ وصراطٌ بيّنٌ لامعٌ» [الأصفهاني، التقريرات، ج 2، ص 129].

النقد

أمّا بالنسبة إلى مانعية العلوم الحسولية والبشرية وحاجبيتها فنقول: إنّها

وإن كانت حجابًا بالنسبة إلى العلوم الحضورية والشهودية، لكتّها في مقابل الجهل نورٌ وشهودٌ. والعالم بالعلم الحسولي وإن كان أعمى ومحتجبًا بالنسبة إلى العارف والعالم بالعلم الحضوري الكشفي، لكتّه بصيرٌ ومشاهدٌ في مقابل الجاهل. ألا ترى أنّ القرآن يعدّ المؤمن بصيرًا وسميعًا والكافر أعمى وأصمّ؟ قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة هود: 11]. وأمّا دليل أنّ الميرزا عدّ منهج البرهان موجبًا للبعد عن فهم الحقائق الدينية فهي المقابلة التي يراها هو بين الفطرة الإلهية وإقامة البرهان، والحال أنّه ليس الأمر كذلك، بل إقامة البرهان في المسائل التي يمكن للعقل أن يفهمها، يوجب تقوية الفطرة؛ ولذا أكّد الشارع على هذا الأمر واستفاد هو نفسه من البرهان في كثيرٍ من المواضع.

2- الفلسفة توجب الحيرة

بعض التفكيكيين بعدما أنكر التأثير الإيجابي للآراء والأفكار الفلسفية في فهم الدين، ذهب إلى أنّ الفلسفة توجب الحيرة؛ لوجود كثيرٍ من الاختلافات بين الفلاسفة أنفسهم، والتضادّ العميق بين آرائهم وبين النصوص والقطعيّات الدينية. [سيدان، مكتب تفكيك يا روش فقهاى اماميه، ص 100 و 102]

النقد

إن دراسة التضادّ بين الآراء الفلسفية وبين النصوص الدينية تطلب مجالاً آخر، وأمّا في جواب القول بأنّ الفلسفة لا يمكن أن تكون آلةً لنا لفهم الدين، بل توجب الحيرة؛ نظرًا لما نرى بين الفلاسفة من اختلافٍ في الآراء، فنسأل أولًا: هل هذا الاختلاف يختصّ بالفلاسفة ولا يوجد في سائر العلوم من الأصول والفقهاء والكلام والأدب والرجال وغيرها؟ فكيف تكون هذه

العلوم مع ما فيها من الاختلافات بين علمائها، آلت لفهم الدين والنصوص الدينية ولا يمكن أن تكون الفلسفة آلة له؟

هذا جوابٌ نقضيّ، وأمّا الجواب الحليّ فنقول: الاختلاف الموجود بين علماء أيّ علمٍ كان، إنّما يوجب الحيرة لمن لا يكون له في ذلك العلم قدمٌ ثابتٌ ويدٌ طويلة، ولم يصل إلى درجة الاجتهاد والاستنباط؛ لأنّه عاجزٌ عن تشخيص الواقع والتمييز بين الغثّ والسمين والصواب والخطأ، وأمّا غوّاص هذا البحر المتلاطم، فيغوص إلى قعر البحر ليستخرج الدرّ والمرجان. وهذا حال كلّ مختصّ في كلّ علمٍ، فالفقيه المبرّز صاحب الجواهر - كمثال - إذا واجه الآراء المتشعبة والمختلفة في فرعٍ فقهيّ، فلا يختار، بل يضرب بعضها ببعض لتوصل إلى الصواب، ويختار رأياً من بينها أو غيرها ويخرج من هذه المعركة سالمًا.

وهكذا الأمر في الفلسفة، فمن لم يصل فيها إلى درجة الاجتهاد، فالآراء المختلفة توقعه في الحيرة، وأمّا المجتهد في هذا الفنّ فهو بمقدوره أن يستنبط رأياً من بينها ولا يقع في الحيرة. فلا بعد ولا غرور في أن يستعين الفيلسوف من هذه المباحث لفهم الدين والنصوص الدينية.

3- الفلسفة توجب البعد عن العقل الفطريّ

يعتقد السيّد الحكيميّ بأنّ معارف الدين، بيّنت في القرآن والروايات بلسان الفطرة، ولا بدّ من فهمها بالعقل الفطريّ، يعني العقل الموجود في كلّ إنسانٍ عاقلٍ وغير مجنونٍ بحسب الخلقة، وبما أنّ الفلسفة توجب بعد الإنسان عن الفطرة وعقله الفطريّ، فينتج من هذا الاستدلال أنّ فهم هذه النصوص الدينية - يعني القرآن وروايات أهل البيت عليهم السلام - أسهل لمن لم يقرأ الفلسفة عمّن قرأها؛ لأنّ الاستفادة من العقل الفطريّ أسهل. يقول في

موضع من كتابه: «يجب فهم أصول الدين وحقيقته، بهذا العقل الفطريّ [أو القريب من الفطريّ] [الذي لا تغيره أيّ معرفة]، لا بالعقل الصناعي والفلسفيّ وأمثاله؛ لأنّه في الفلسفات يستعمل ويُستفاد من العقل السطحيّ، ولكنّ الوحي - الذي يخاطب العقل الفطريّ - يسلك بالإنسان إلى أعماق العقل، ويثير كلّ قواه العقلية التي معظمها مضمّرٌ في عقله الفطريّ» [اجتهاد وتقليد در فلسفه، ص 77].

وفي موضعٍ آخر، يعدّ لسان الاصطلاحات لساناً صناعياً - في مقابل اللسان الفطريّ - ويدّعي أنّ من نتائج ترجمة الكتب الفلسفية المشؤومة، نسيان لسان الفطرة وتبديل لسان الاصطلاحات مكانه. [المصدر السابق، ص 198]

وكذلك يقول في موضعٍ ثالثٍ: «يعدّ الفهم الخالص والفطريّ لدى العوامّ من الناس، ملاكاً للحقيقة؛ لأنّه لم يجب بأنواع الحجب العلمية والفلسفية والاصطلاحية والكلامية والجدلية، وكان في مأمّن من ظلمة البحث والجدل والإشكاليات والأجوبة المدرسية! ويستند برأيه هذا إلى ابن سينا وصدور المتألهين في بعض كلماتهما» [المصدر السابق، ص 198]

يقول ابن سينا: «واعلم أنّ أكثر ما يُقرّ به الجمهور ويفزع إليه ويقول به، فهو حقٌّ، وإتّما يدفعه هؤلاء المتشبهة بالفلاسفة؛ جهلاً منهم بعلمه وأسبابه، وقد عملنا في هذا الباب كتاب "البرّ والأثم"؛ فتأمل شرح هذه الأمور من هناك» [الإلهيات من كتاب الشفاء، ص 484 و485]. ويقول صدر المتألهين أيضاً: «فعلّم ممّا ذكر، أنّ وجود الجنة والنار، وسائر أحوال الآخرة، على الوجه الذي يفهم الجمهور والعوامّ، ويصل إليه أفهام الأنام، حقٌّ مطابقٌ للواقع، يجب الاعتقاد به يقيناً» [الشيرازي، المبدأ والمعاد، ص 530].

أمّا الجواب:

أوّلاً: درس العلوم والاصطلاحات في نفسه لا يوجب بعد الإنسان عن العقل الفطريّ، بل ربّما يؤيّدّه ويقوّيه.

ثانياً: ما اقترحه من ترك العلوم وعدم الاستفادة منها في فهم القرآن، أمرٌ غير ممكن.

أمّا الأوّل فقد ورد في القرآن الكريم: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَصْرِبِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: 43]، وفيها تصريحٌ بأنّ فهم أمثال القرآن الكريم بما هو حقّه لا يمكن إلاّ للعلماء، ف «العلم يزيد العاقل عقلاً» وهو ما صرّح به أمير المؤمنين عليه السلام ونقله السيّد الحكيميّ نفسه في كتابه [انظر: الحكيميّ، الحياة، ج 1، ص 78]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: «إنّك موزونٌ بعقلك فزكّه بالعلم» [الأمديّ، غرر الحكم، ح 3812]، وقال: «أعون الأشياء على تركية العقل التعليم» [المصدر السابق، ح 3246] وقال: «العقل غريزة تزيد بالعلم والتجارب» [المصدر السابق، ح 1717] وقال الصادق عليه السلام: «كثرة النظر في العلم يفتح العقل» [الراونديّ، الدعوات، ص 221، ح 603]. فالعلم ممّا يقوّي العقل ويزكّيه، وليس من آفات العقل كما زعم السيّد الحكيميّ، بل آفات العقل - كما في الروايات - هي: هوى النفس والمعصية والبخل والعجب والغضب وشرب الخمر والجلوس مع الحمقى و... ومنها الاستغناء بالعقل والامتناع من قبول الوحي أو من اكتساب العلم. [محمدى رى شهرى، خردگرایی در قرآن و حدیث، ص 211 - 234]

وأما ما نقل عن ابن سينا و صدر المتألّهين ونسب إليهما من أنّهما جعلتا فهم العوامّ من الناس ملاكاً وميزاناً ورفضاً فهم الفلاسفة، ففيه أوّلاً: أنّ ابن سينا قال «اعلم أنّ أكثر ما يُقرّ به الجمهور ويفزع إليه ويقول به، فهو حقٌّ»

ولم يقل: "كل عقايدهم حق"! وصدر المتألهين أيضًا صحح اعتقاد العوام في أمر المعاد والحجة والنار، لا في جميع الموارد.

وثانيًا أنّ صدر المتألهين صحح اعتقادهم في أصل كون المعاد جسمانيًا، لا في جميع الأمور المرتبطة بالمعاد ولا بالحجة والنار. بل هو في الكتاب نفسه خطأ فهم العوام في كيفية المعاد الجسماني، وذم العلماء الذين رأهم في هذا المجال كراي العوام من الناس، وقال: «والعجب من أكثر المنتسبين إلى العلم كيف قنعوا بمرتبة العوام والنساء والصبيان، ولم يشغلوا بالبحث عن حقيقة نفوسهم، وأنه كيف مآلها وإلى ماذا يصير حالها، مع أنه فرض عليهم» [الشيرازي، المبدأ والمعاد، ص 550]. وأيضًا في مقدّمة الأسفار يشكو من الذين لا يرون في المعارف إلا ظاهر الأمر كالعوام، ويشبههم بالحنابلة من أهل الحديث ويقول: «وقد ابتلينا بجماعة غاري الفهم، تعمش عيونهم عن أنوار الحكمة وأسرارها، تكل بصائرهم كأبصار الخفافيش عن أضواء المعرفة وآثارها، يرون التعمق في الأمور الربانية والتدبر في الآيات السبحانية بدعة، ومخالفة أوضاع جماهير الخلق من الهمج الرعاع ضلالةً وخدعةً، كأنهم الحنابلة من كتب الحديث، المتشابه عندهم الواجب والممكن والقديم والحديث، لم يتعدّ نظرهم عن طور الأجسام ومساميرها - ولم يرتق فكرهم عن هذه الهياكل المظلمة ودياجيرها، فحرموا لمعاداتهم العلم والعرفان ورفضهم بالكلية طريق الحكمة والإيقان عن العلوم المقدسة الإلهية، والأسرار الشريفة الربانية التي رمزت الأنبياء والأولياء عليها، وأشارت الحكماء والعرفاء إليها - فأصبح الجهل باهر الرايات ظاهر الآيات، فأعدموا العلم وفضله، واسترذلوا العرفان وأهله، وانصرفوا عن الحكمة زاهدين ومنعوها معاندين، ينفرون الطباع عن الحكماء، وي طرحون العلماء العرفاء والأصفياء، وكل من كان في بحر الجهل والحمق أولج، وعن ضياء المعقول

والمنقول أسرج، كان إلى أوج القبول والإقبال أوصل، وعند أرباب الزمان
أعلم وأفضل،

كم عالم لم يَلِجْ بالقرع باب مئى // وجاهلٍ قبل قرع الباب قد ولجا
[الشيرازي، الحكمة المتعالية، ج 1، ص 5 و6].

فكيف يمكن لصدر المتأهلين أن يجعل فهم العوام ملاكاً للفهم الصحيح؟!
والنتيجة أنه لا يريد أن يصدّق فهم العوام بالنسبة إلى مصداق ألفاظ
النصوص الدينيّة، بل يصدّق فهمهم بالنسبة إلى معنى الألفاظ وبينهما بونٌ
شاسع.

4- الاستفادة من الفلسفة لفهم الدين توجب هدم المعارف الدينيّة

على رأي السيّد الحكيمي، أنّ تدخّل العلوم الفلسفيّة في فهم القرآن
وتفسيره، يوجب هدم الفهم الصريح للمعارف القرآنيّة؛ ولكنّ هذا لا يعني
أنّ الفلاسفة ودارسي العلوم الفلسفيّة لا يمكن أن يكون فهمهم للدين
صحيحاً بشكلٍ مطلق، بل يمكنهم أيضاً لكن بشرط كسر الأصنام في معبد
النفس والوصول إلى "تجريد العقل". [حكيمي، اجتهاد و تقليد در فلسفه،
ص 97؛ مكتب تفكيك، ص 132]

النقد

من المسلّمات عند كثيرٍ من علماء فلسفة العلم والهرمنوطيقا أنّه لا
يمكن لأحدٍ فهم النصّ وحتّى فهم كثيرٍ من التجريبات الحسيّة بدون
الاستفادة من علومه القبليّة؛ فعليه أن يدقّق في إتقانها واستحكامها؛ حتّى
لا يخطأ في الفهم. [چالمرز، چيستی علم.. درآمدى بر مكاتب علم شناسى
فلسفى، ص 37]

ويمكن أن يقول السيّد الحكيمي إنّنا نقبل تأثير بعض العلوم - كاللغة

والفقه والأصول - في فهم الدين ونرفض قبول تأثير الفلسفة في فهمه. لكنّ هذا الكلام ليس بمقبولٍ؛ لأننا نستفيد كثيرًا من القضايا والأصول الفلسفيّة في فهم كلّ نصّ، ومنها النصوص الدينيّة؛ ومن تلك القضايا والأصول الفلسفيّة: قاعدة العليّة، والسنخيّة بين العلة والمعلول، وامتناع اجتماع النقيضين وارتفاعهما و...، ولا يمكن تخلية الذهن من هذه المفاهيم والقواعد الفلسفيّة وفهم النصوص بدونها.

5- الاستفادة من الفلسفة لفهم الدين توجب الضلالة

يعدّ السيّد الحكيمي الاستفادة من الفلسفة لفهم الدين مساوقةً لطلب الهداية من غير القرآن، وهو ما ينتج الضلالة، بدلالة الروايات التالية:
[انظر: حكيمي، عقل خود بنياد ديني، ص 45 و 46]

قال النبي ﷺ: «ومن طلب الهدى في غيره [القرآن] أضله الله» [المجلسي، بحار الأنوار، ج 92، ص 31]، وعن الإمام الرضا عليه السلام: «كلام الله لا تتجاوزوه، ولا تطلبوا الهدى في غيره فتضلّوا» [الصدوق، الأمالي، ص 546]، وقال الإمام السّجّاد عليه السلام: «واجعلنا ممّن يعتصم بحبله... ولا يلتمس الهدى في غيره» [الصحيفة السّجّاديّة، الدعاء 42].

النقد

هنا نتساءل عن مراد السيّد الحكيمي من هذا الكلام؟ إمّا أنّه يعدّ مطلق الرجوع إلى غير القرآن لفهم القرآن مصداقًا لهذه الروايات؛ يعني طلب الهداية في غير القرآن والتجاوز عن كلام الله، وإمّا أنّه يعدّ الرجوع إلى العلوم التي نهى الدين عنها لفهم القرآن مصداقًا لهذه الروايات. فإن كان المقصود الاحتمال الأوّل، فنقول: فعلى هذا، أوّلًا يكون الرجوع إلى كلام أهل البيت عليه السلام لفهم القرآن، أيضًا من مصاديق هذه الروايات، وهذه الفكرة هي بعينها

شعار "حسبنا كتاب الله"؛ وثانيًا عليه أن يعدّ كلّ علماء الإسلام الذين يستفيدون في طريق فهم القرآن من علومٍ شتى: كاللغة والأدب والأصول والفقه والكلام و... مصاديق لهذه الروايات، ولهذا ما لا يرضى به السيّد الحكيميّ قطعًا؛ لأنّ القرآن نفسه دعانا إلى الرجوع إلى الرسول وأهل بيته عليهم السلام، فلا يكون الرجوع إليهم مصادقًا طلب الهداية من غير القرآن، وأيضًا لا يمكن فهم القرآن بدون الاستفادة من تلك العلوم، فلا يكون الرجوع إليها أيضًا مصادقًا لهذه الروايات، فيبقى الاحتمال الثاني لكلامه فنقول:

أولًا القرآن دعانا إلى التعقّل والتفكّر، وطبعًا دعانا إلى الالتزام بمقتضاهما، ومدعى الفلاسفة أنّ الفلسفة تكون آلة لفهم معارف القرآن العقلية أكثر فأكثر، فهل في هذا الفرض أيضًا تكون الاستفادة من الفلسفة لفهم القرآن، مصادقًا لطلب الهداية من غير القرآن؟!

ثانيًا الظاهر أنّ مصادق هذه الرواية، من يعتقد أنّ القرآن - والعياذ بالله - ناقصٌ في أمر الهداية، ويلزم على عقول البشر إكمال تلك الهداية، ولكنّ الفلاسفة المسلمون يرون أنّ كلّ ما هو لازمٌ لأمر الهداية فهو موجودٌ في القرآن، ولكنّ فهمه بشكلٍ كاملٍ لا يتيسّر لعموم الناس، بل بعض ما في القرآن مختصٌّ بأهل البيت عليهم السلام، ويمكن فهم بعض معارفه لمن يتدبّر في آياته، والتفلسف أيضًا طريقٌ إلى فهم معارفه العقلية.

فالنتيجة أنّ الفلسفة ليست مانعًا من فهم القرآن؛ ولا توجب البعد عن فهم حقائق القرآن، ولا تكون موجبًا للحيرة، ولا توجب البعد عن العقل الفطريّ، ولا تؤدّي إلى هدم المعارف الدينية، ولا توجب الضلالة.

المستوى الثاني: الفلسفة لا تؤثر في فهم الدين تأثيرًا إيجابيًا التفكيكيّون في بعض مواقفهم أنكروا التأثير الإيجابي للفلسفة في فهم الدين، وناقشوا في كلام أولئك الذين يذهبون إلى ضرورة التفلسف لفهم

الدين، ولكنّ تعابيرهم في هذا المجال أيضًا مختلفةٌ، وهنا نشير إليها باختصارٍ:

1- توقّف فهم الدين على تعلّم الفلسفة يستلزم نقض غرض البعثة يدعي المرحوم الميرزا مهدي أنّ القول بتوقّف فهم كلمات المعصومين عليهم السلام على تعلّم الاصطلاحات الفلسفية -وبما أنّ أكثر الناس جاهلون بها- يوجب خروج كلام الله والرسول عن طريقة العقلاء، وإحالة أمر تكميل الأمة إلى الفلاسفة، وهذا يستلزم نقض غرض البعثة وهدم آثار النبوة والرسالة. [انظر: الأصفهاني، أبواب الهدى، ص 4]

النقد

أولاً: هل يكون فهم الدين متوقّفًا على تعلّم كثيرٍ من العلوم من الأدب واللغة والرجال والفقهاء والأصول؟ جوابكم نعم، فنسأل: أوليس أكثر الناس جاهلون بهذه العلوم؟ فكما لا يكون الاستفادة من هذه العلوم لفهم الدين ناقصًا لغرض البعثة وهدامًا لآثار النبوة والرسالة، فكذلك بالنسبة إلى الفلسفة.

ثانيًا: لا يكون فهم كلّ الحقائق الدينية من الأصول والفروع متوقّفًا على تعلّم الفلسفة حتّى يستلزم عدم معرفة أكثر الناس بها حرمانهم عن فهم حقائق الدين.

فمدعى الحكماء والفلاسفة أنّه لا يمكن لبعض الناس فهم بعض المعارف الإلهية بدون تعلّم الفلسفة، ولا يكون كلّ الناس مأمورين بفهم كلّ الحقائق الدينية، بل نُهي أكثرهم عن الدخول في بعض الدقائق العلمية والدينية كالقضاء والقدر، ويكفيهم الاعتقاد الإجماليّ بالمعارف الدينية.

2- توقّف فهم القرآن على تعلّم الفلسفة يستلزم احتياج القرآن إلى

الفلسفة

عدّ بعض التفكيكيين القول بتوقف فهم القرآن على تعلّم الفلسفة جزافاً، وشأن الأنبياء أجلّ من أن تكون علومهم مستمدّةً من سائر العلوم البشريّة، قديمةً كانت أو حديثةً، وعقليّةً كانت أو كشيّةً. يقول أحد التفكيكيين: «لا أقول: إنّ تحصيل علوم الأنبياء متوقّف على تحصيل طريقة غيرهم، ومنوطٌ بتحصيل نظريات من سواهم، فإنّه جزافٌ من القول؛ لأنّ علومهم أرفعُ شأنًا وأنورُ برهانًا وأجلّ مقامًا، ومستقلّةٌ بنفسها وغنيّةٌ من الاستمداد بعلوم من سواهم، من العلوم البشريّة القديمة والحديثة، والأبحاث النظرية والعلوم الكشفيّة» [ملكي ميانجي، توحيد الإماميّة، ص 13 و 14].

وقال السيّد الحكيميّ: «إنّ تأثير الفلسفة في فهم الدين مستلزمٌ لاحتياج القرآن إلى الفلسفة» [حكيميّ، شرف الدين، ص 159]. ثمّ نفى هذا الأمر بكلام أمير البيان أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول: "واعلموا أنّه ليس على أحدٍ بعد القرآن من فاقه، ولا لأحدٍ قبل القرآن من غنّى" [نهج البلاغة، الخطبة: 175]؛ ويقول الحكيميّ أيضًا في هذا المجال: «إنّ القرآن الكريم لا يكون في بعدٍ من الأبعاد ولا في مقولةٍ من المقولات محتاجًا إلى أحدٍ، لا قبل الإسلام ولا بعد الإسلام، بل سنخ مطالب القرآن الكريم غير مطالب واصطلاحات الآخرين الموضوعة بتضادّها وبتفاوت سطحها» [حكيميّ، شرف الدين، ص 159].

ونقرأ في كلام بعضٍ آخر منهم أنّ القرآن والنصوص الدينيّة المعتمدة لا تكون ناقصةً حتّى تحتاج في بيان آرائها وأصولها إلى الغير، بل البرهان يكون اسمًا من أسامي القرآن، وهذا يدلّ على أنّ القرآن من أمتن البراهين وأقواها. [سيدان، مكتب تفكيك يا روش فقهای امامیه، اندیشه حوزة، آذر و دی 1380، ص 101]

النقد

أولاً: التفكيكيون أنفسهم يذهبون إلى توقّف فهم القرآن على بعض العلوم كاللغة والرجال والفقہ والأصول، فالإشكال متوجّه إليهم أيضاً. ثانياً: هناك مغالطة في كلامهم، وهي أنّهم قالوا إنّ توقّف فهم القرآن على الفلسفة يستلزم توقّف واحتياج القرآن إلى الفلسفة، وليس الأمر هكذا، بل لازم ذلك الكلام أنّ الأفراد والأشخاص يحتاجون في فهمهم للقرآن إلى الفلسفة! بتعبيرٍ آخر، القرآن كاملٌ ولا يحتاج إلى العلوم البشريّة وكلّ الحقائق فيه، إمّا في ظاهر آياته وإمّا في باطنها، ولكنّ هذا الكلام لا يستلزم أنّ كلّ الناس يستطيعون فهم الحقائق القرآنيّة بمراجعتهم بشكلٍ مباشرٍ إلى القرآن. وفي هذا المجال ينقل معلى بن الخنيس عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ما من أمرٍ يختلف فيه اثنان إلّا وله أصلٌ في كتاب الله ﷻ، ولكن لا تبلغه عقول الرجال» [الكليبي، الكافي، ج 1، ص 60]؛ وفي حديثٍ آخر عن الصادق عن أمير المؤمنين أنّه قال: «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم، ولكن أخبركم عنه، إنّ فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم، وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتموني عنه لعلمتكم» [المصدر السابق، ص 61].

فكما لا تكون مراجعة كلمات أهل البيت عليهم السلام لفهم الحقائق القرآنيّة منافيةً لاستقلال القرآن، فكذلك لا تضرّ الاستفادة من العلوم البشريّة لفهم القرآن أيضاً باستقلاله، ولا تكون مستلزماً لاحتياج القرآن إلى هذه العلوم.

ثالثاً: أرادت هذه الجماعة أن ترفع مقام الدين، ولكنهم أنزلوا كلام الله والرسول إلى مستوى كلام العموم من الناس، ونحن نشهد أنّه إذا كان هناك عالمٌ متخصصٌ في بعض المجالات وتكلّم مع عموم الناس، وعرض عليهم

بعض المسائل العلميّة العميقة بأبسط بيانٍ، فهم لا يفهمون من كلامه إلا ظاهره، وهم عاجزون عن فهم عمق كلامه. فبالنسبة إلى القرآن فإمّا أن نعتقد بأنّ الله - تعالى - أعرض عن بيان المعارف العميقة والدقيقة، وإمّا أن نعتقد بأنّه - تعالى - بيّن هذه الأمور أيضًا بإشارةٍ وتلميحٍ، فإنّ ظلّ أحدٍ بأنّ القرآن خالٍ عن هذه الدقائق، وأنّ معارفه منحصرَةٌ في بعض المطالب البسيطة، فهذا بهتانٌ على الله والرسول. يقول السيّد الخميني رحمته في هذا المجال:

«ومن غرائب الأمور قول بعض الناس إنّ كلام أئمة الهدى عليهم في مقام هداية الناس، مطابقٌ لفهم العرف وخالٍ من الدقائق الفلسفيّة والعرفانيّة، ولهذا بهتانٌ عظيمٌ ينشأ من قلة التدبّر في أخبار أهل البيت عليهم وعدم الفحص فيها بانضمام بعضٍ آخر من الأمور. فواعجبًا! فإذا لم يعلم الأنبياء والأولياء عليهم هذه الدقائق، فمن يعلمها الناس؟ ألا يوجد في التوحيد وسائر المعارف دقائق علميّة؟ وهل الناس كلّهم سواءٌ في فهم المعارف؟ هل معارف أمير المؤمنين في سطح معارفنا؟ أو هناك فرقٌ ولا يلزم تعليمها؟ بل يكون عدم تعليمها أرجح؟ أولم يعتن الأئمة عليهم بهذه المهمة؟ وهل يمكن القول بغفلتهم عن هذه الدقائق وهم لم يغفلوا عن بيان الآداب المستحبّة في النوم والأكل والتخليفة و...؟! وهل يمكن غفلتهم عن بيان المعارف الإلهيّة التي تكون غاية آمال الأولياء؟» [خميني، جهل حديث، ص 527].

فالتريق الوحيد أن نسلم بوجود معارف دقيقة وعميقة علميّة وفلسفيّة في القرآن، وإذا كانت هذه المعارف موجودةً في القرآن، فلا بدّ لفهمها من تعلّم الكثير من العلوم ومن حملتها الفلسفة، وإذا كان في القرآن أمتن البراهين - كما هو الحقّ وكما كان في تعابير بعض التفكيكيّين - فلا بدّ أن نسلم بأنّ فهمها لا يمكن إلا لأقوى العقول، وتوقّف فهمها إلى الفلسفة

وسائر العلوم لا يستلزم احتياج القرآن إليها.

3- معرفة الله ﷻ المنسوبة إلى الأنبياء ﷺ سهلةٌ وبسيطةٌ لا تحتاج إلى

تعلم المعارف الفلسفية

نفي المرحوم ميرزا جواد الطهراني التأثير الإيجابي للفلسفة في فهم الدين وقال: «تعلم المعارف القرآنية والحديثية لا يتوقف على تعلم الفلسفة والاصطلاحات الفلسفية. نعم، تطبيق كلمات القرآن والحديث على المطالب الفلسفية متوقفٌ عليه» [تهراني، عارف وصوفي چه می گویند؟، ص 253، الهامش].

ويقول نفسه في موضع آخر: «وأعلى الشقاء القول بتوقف المعارف الفطرية القرآنية ومعرفة الله المنسوبة إلى الأنبياء السهلة والبسيطة، والترقي في درجات المعارف والقرب منه سبحانه، التي أحالها القرآن والأحاديث إلى اكتساب التقوى ومحاسن الأخلاق والإحسان إلى الخلائق، والوحدة والألفة، وكلّ عملٍ صالح، وعبودية الله سبحانه؛ على تعلم العلوم والاصطلاحات البشرية ومنع أنفسنا وسائر الناس من العمل بالتكاليف والاشتغال بتعلم الفلسفة قبل تعلم القرآن والأحاديث» [المصدر السابق، ص 237 و238، الهامش].

يقول أحد التفكيكيين بخصوص المقدمات اللازمة لفهم الدين: «إنّ فهم النصوص الدينية بالاستفادة من العلوم الفلسفية لم يكن متيسراً في الماضي» [سيدان، مكتب تفكيك يا روش فقهای امامیه، ص 12]. ثمّ يشير إلى المقدمات اللازمة لفهم الدين ويقول: «كلّ ما يكون لازماً لفهم الدين هو تعلم اللغة وفهم مخاطب النصوص الدينية وشرايطهم، وشرايط نزول القرآن وصدور الروايات، الزمانية والمكانية والأنس بالكتاب والسنة» [المصدر السابق].

النقد

يبدو أنّ تصوّر بساطة المعارف الإلهية يؤدّي إلى مخاطرة عظيمة وإلى هدم معارف القرآن الكريم وعلوم أهل البيت عليهم السلام العميقة، ولهذا الأمر يحتاج إلى بسط الكلام فيه، ونشير هنا رعاية للاختصار إلى بعض النقاط:

أ- نسأل التفكيكيين: هل كان كلام الحشوية والمجسمة والمشبهة و... غير كلامكم؟ وهو لزوم الاستناد إلى الظواهر واعتبار فهم العرف من النصوص الدينية؟

ب- ليست أحاديث أهل البيت عليهم السلام في مستوًى واحد؛ لأنهم بالإضافة إلى بيان الأحكام والمعارف البسيطة والسهلة، أشاروا في موارد كثيرة إلى حقائق لا يفهمها إلا القليل من أولي الألباب، والغفلة عن هذا الأمر المهم تؤدّي إلى هدم معارف أهل البيت عليهم السلام العالية. [الطباطبائي، هامش البحار، ج 1، ص 100]

ج- لقد أشار الأئمة عليهم السلام في روايات كثيرة إلى أنّ فهم وتحمل كلماتهم لا يكون في وسع كثير من الناس، بل ليس في وسع الملائكة، وهنا نشير إلى بعضها:

ففي حديث: «خالطوا الناس بما يعرفون، ودعوهم ممّا ينكرون، ولا تحمّلوهم على أنفسكم وعلينا، إنّ أمرنا صعبٌ مستصعبٌ؛ لا يحتمله إلاّ ملكٌ مقربٌ، أو نبيٌّ مرسلٌ، أو عبدٌ قد امتحن الله قلبه للإيمان» [الصدوق، الخصال، ص 624؛ وهذا المضمون في عشرات من الروايات. انظر: الأمالي، ص 4؛ الخصال، ص 27؛ معاني الأخبار، ص 188 و 189 و 407؛ الصفار، بصائر الدرجات، ص 20 - 29].

فهذه الرواية وأمثالها الكثيرة التي تبلغ العشرات، تنهانا عن بيان بعض الأحاديث لكثير من الناس؛ لأنهم لا يفهمونها ولا يتحملونها. فمع وجود

هذه الأحاديث وغيرها التي تكون مصداقًا لها، فهل يمكن القول بأنّ المعارف الإلهية كلّها سهلةٌ وبسيطةٌ ويمكن فهمها لكلّ من يحظى بعقلٍ فطريٍّ ويتأمل في مضامينها في جنب معرفته باللغة والأدب وأسباب نزول الوحي وصدور الروايات وأمثال هذه الأمور؟!]

وأيضًا يُنقل عن الإمام السّجّاد عليه السلام أنّه لا يقدر على إظهار كلّ ما في صدره خوفًا من المسلمين على نفسه ودمه؛ فيقول في بعض الأشعار المنسوبة إليه:

إني لأكتم من علمي جواهره كيلا يرى الحقّ ذو جهلٍ فيفتننا
وقد تقدّمنا فيها أبو حسنٍ مع الحسين ووصى قبلها الحسن

[انظر: الأملي، جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص 35]

ألا تدلّ هذه الأحاديث على أنّ فهم العوامّ من الناس للمطالب الإلهية العميقة ليس ملاكًا للأمر؟ بلى، فهمهم بالنسبة إلى معاني الألفاظ حجّةٌ، ولكنّ فهمهم بالنسبة إلى مصاديقها فليس بحجة، فأبى محذور أن تعيننا الفلسفة على فهم صحيح لكلمات القرآن وروايات أهل البيت عليهم السلام؟
[الطباطبائي، الميزان، ج 5، ص 270 و 271]

4- توقّف فهم الدين على تعلّم الفلسفة يستلزم عدّة أمورٍ غير مقبولةٍ يعدّد السيّد الحكيم توقّف فهم الدين على تعلّم الفلسفة مستلزمًا لعدّة أمورٍ غير مقبولةٍ ويقول: «من ادّعى لزوم تعلّم الفلسفة لفهم الدين، فعليه أن يقبل بالأمور الخمسة التالية:

أولًا: أنّ الناس في القرون الأربعة الأولى من الهجرة - أي زمان لم تكن الفلسفة فيها مدوّنةً بشكلٍ كاملٍ - كانوا محرومين من فهم الدين العقلاني.
ثانيًا: أنّ الجمهور الغفير من أكابر العلماء الذين لم يهتمّوا بالفلسفة، لم يكن لهم نصيبٌ من فهم الدين.

ثالثًا: أنّ العرفاء المسلمين الذين كانوا في مقابل الفلاسفة أيضًا محرومين

من فهم معارف الدين.

رابعًا: أنّ بعضًا من أكابر العلماء المعاصرين الذين لا يرون ولا يعتقدون بالفلسفة أيضًا، كانوا محرومين من فهم الدين.

خامسًا: وأشنع من الكلّ، أنّه إذا كان تعلّم الفلسفة لازمًا لفهم الدين، فلمّ لم يأمر النبيّ والأئمّة عليهم السلام بترجمة الفلسفة حتّى يفهم المسلمون الدين فهمًا عقليًّا؟ ولمّ لمّ يساعد الأئمّة عليهم السلام المترجمين للفلسفة؟ [بل أظهروا مخالفتهم لهم في بعض الأحيان وأكّدوا على عدم رجوع المسلمين إلى غير القرآن لثلاً ينحرفوا] فهل كانوا عليهم السلام جاهلين بوجود الفلسفة والعرفان، أو - والعياذ بالله - قصّروا في حقّ الدين وفهمه، وتصدّى أعداؤهم - بترجمة الفلسفة - لخدمة الاسلام والمسلمين بمساعدة المترجمين اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم؟» [حكيمى، عقل خود بنياد دينى، ماهنامه همشهرى، آذر 1380، ص 43].

النقد

مقدّمة النقد: هل تعلّم الفلسفة لفهم الدين لازمٌ لكلّ الأفراد وفي كلّ الأزمنة؟

قبل الورود في نقد الكلام تفصيلًا، لا بدّ أن نشير إلى مسألة هامّة ونجعلها مقدّمةً للنقد فنقول: لم يدّع أحدٌ من الفلاسفة المسلمين أنّ الطريق إلى فهم الدين مغلقٌ لكلّ الأفراد وفي كلّ الأزمنة، إلّا لمن تعلّم الفلسفة وهذا قولٌ جزافٌ؛ لأنّه:

أولًا: الأمر اللازم لفهم الدين العقلانيّ، هو ضرورة إدراك القوّة الذهنيّة العالية للأمور ما وراء الطبيعيّة وتحليل الأمور العقليّة، لا تعلّم الفلسفة، فليس مدّعى الفلاسفة أنّ كلّ من لم يتعلّم الفلسفة ليس له هذه القوّة. نعم، هم يقولون إنّ تعلّم الفلسفة والأنس بالمسائل الفلسفيّة مؤثّرٌ جدًّا في شحذ

الأذهان وتقوية مستوى إدراكهم العقلي.

ثانياً: مع صرف النظر عن الأئمة المعصومين عليهم السلام - لأنه لا يقاس بهم أحدٌ - هناك فريقان من الناس، يفهمون أعمق المسائل الحكيمية والفلسفية، بدون تعلّم الفلسفة والرياضة في المسائل العقلية:

الفريق الأول: هم الذين وصلوا في مدارج العبودية والقرب من الله سبحانه، إلى درجة يشهدون حقائق العالم ولا يحتاجون إلى تعلّم وتعلّم؛ لأنّ التقوى وتهذيب النفس يعطي الإنسان علوماً، وهذه المسألة من مسلمات القرآن والروايات، وفي رأيي أنّ دائرة العلوم المستفادة من التقوى واسعةٌ جداً، بحيث تشمل حتى العلوم التجريبية، ويؤيد هذا النظر بعض الكرامات المنقولة عن بعض العرفاء.

الفريق الثاني: هم الذين لهم حظوةٌ كبيرةٌ من الحدس الصائب والقدرة الذهنية لشدة ذكائهم، وهؤلاء الأفراد من الناس أيضاً ليس ببعيدٍ أن يفهموا القضايا العقلية ويحلّوها بشكلٍ أفضل وأحسن بكثيرٍ من الناس الذين تعلّموا العلوم العقلية طيلة سنواتٍ. بتعبيرٍ آخر، كما أنّ القواعد المنطقية مركوزةٌ في فطرة الإنسان، والناس يتفكّرون منطقياً، ولكنّ تعلّم علم المنطق يساعدهم على التوجّه إلى هذه القواعد والعمل بها أكثر فأكثر، فالأمر اللازم للتفكّر الصحيح هو رعاية هذه القوانين لا تعلّم المنطق، فكذلك الأمر بالنسبة إلى الفلسفة؛ يعني الأمر اللازم لإدراك المسائل العقلية والحكيمية هو التحلّي بقوة ذهنية عالية لا تعلّم الفلسفة، ولكنّ تعلّم الفلسفة والأنس بها يقوّي ذهن ويساعده في هذه الجهة. وهناك فرقٌ بين المنطق والفلسفة، وهو أنّ كثيراً من الناس يعرفون القواعد المنطقية فطرةً ويراعوها في تفكيرهم، والحال أنّ أكثر الناس ليس لهم قوّة إدراك المسائل العقلية والحكيمية العميقة.

وأكثر الناس لا يدخلون ضمن هذين الفريقين، بل أكثرهم يحتاجون لإدراك المطالب الحكيمية والفلسفية إلى تمرين ذهني، بل وتهذيب روحي، ولا يقدرّون بدونهما لا على إدراك بعض الموضوعات الفلسفية ولا على تحليل المسائل العقلية.

فمدعى الفيلسوف المسلم هو أنّ فهم الأفراد العاديين وإدراكهم لكثير من المطالب الحكيمية والفلسفية الموجودة في الآيات والروايات، يتوقف على التمرين الذهني الواسع والأنس الطويل بالمطالب العقلية، ولا يمكن ذلك غالباً إلا لمن تعلّم الفلسفة وآنس بها لسنين طويلة. نعم، يمكن إدراك الحقائق الفلسفية، بل مشاهدتها بعين القلب، لمن يسلك مسلك التقوى والعرفان وتهذيب النفس، ولكن هؤلاء أيضاً لا يقدرّون على التحليل العقلي لهذه المسائل.

ويسعى الفيلسوف لأن يحصل على تصوّر صحيح للموضوعات العقلية والحكيمية أولاً، ويكشف الارتباط بين مسائلها ويحلّلها ثانياً. وبعد تقديم هذه المقدمة نلفت النظر إلى كلام السيّد الحكيميّ وننقده ونبيّن مقدار صحّته وسقمه:

هل كان الناس في القرون الأربعة الأولى للهجرة محرومين من فهم الدين العقلاني؟

وكلام السيّد الحكيميّ أنّه إذا كان فهم الدين متوقفاً على تعلّم الفلسفة، فيلزم ذلك أنّ أهل القرون الأولى الأربعة من الهجرة - أي زمان لم تكن الفلسفة فيها مدوّنة بشكلٍ كاملٍ - كانوا محرومين من فهم الدين العقلاني.

والجواب أنّ فهم الدين العقلاني ليس متوقفاً على تعلّم الفلسفة، وليس هذا مدعى الفيلسوف كما أشرنا، بل يمكن فهم المسائل العقلية - كما قلنا في المقدمة - لبعض الأفراد بدون تعلّم الفلسفة، وهم الذين سلكوا مسلك

التقوى والعرفان، أو كان لهم ذهنٌ قويٌّ. نعم، يمكن أن يدعى أن أكثر الناس طيلة القرون - سواءً كانت القرون الأربعة الأولى أو ما بعدها - كانوا محرومين من فهم المطالب الفلسفية العميقة للدين؛ ولذلك لما «سُئِلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ التَّوْحِيدِ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ مُتَعَمِّقُونَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالآيَاتِ مِنْ سُورَةِ الْحُدَيْدِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، فَمَنْ رَامَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ» [الكليتي، الكافي، ج 1، ص 91].

هل كان مخالفو الفلسفة محرومين من فهم الدين العقلاني؟
 وكلام السيّد الحكيميّ أنّ من جملة لوازم توقّف فهم الدين على تعلّم
 الفلسفة أنها تؤدي إلى حرمان جمعٍ غفيرٍ من العلماء الأكابر الذين كانوا
 لا يهتمّون بالفلسفة، فلم يكن لهم نصيبٌ من فهم الدين.
 والجواب: نعم، يمكن أن يكون الكثير من هؤلاء الأفراد محرومين عن
 الفهم الصحيح للمعارف الحكيمية والفلسفية للدين - كوحده غير العددية،
 وتقدّمه سبحانه على المكان والزمان والعدد، وكونه مع كلّ شيءٍ لا بالمقارنة،
 وخلوّه عن كلّ شيءٍ لا بالمزايلة، وكونه أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا و... - ولا
 محذور في ذلك، ولا ينافي هذا أن يكون بعضٌ من هؤلاء مجتهدين في بعض
 شؤون الدين كالفقه والأخلاق و... وربما فهموا بعضهم المعارف الحكيمية
 بقدره ذكائهم، فلا يتوقّف فهم الدين العقلاني على تعلّم الفلسفة كما قلنا.
 وأخيرًا فإنّ كثيرًا ممّن يعدّون مخالفين للفلسفة، كانوا مخالفين لأفكار بعض
 الفلاسفة، ولم يكونوا مخالفين لأصل الفلسفة.

هل كان العرفاء أيضًا محرومين عن فهم الدين العقلاني؟
 قال السيّد الحكيميّ: إن كان فهم الدين متوقّفًا على تعلّم الفلسفة، فاللازم
 علينا أن نقول: إنّ العرفاء المسلمين الذين كانوا في الجهة المقابلة للفلاسفة
 كانوا محرومين أيضًا من فهم معارف الدين.

والجواب:
 أولاً: أنّ العرفاء لم يكونوا مخالفين للتعلّل والاستدلال والفلسفة مطلقًا،
 ومرادهم من قولهم: «أقدام أهل الاستدلال من خشبٍ» ليس عدم اعتبار
 مطلق الاستدلال، كيف ونفس هذا الكلام استدلالٌ بالشكل الأوّل من
 الأشكال الأربعة المنطقية! بل مرادهم عجز العقل عن فهم جميع الحقائق
 مستقلًا واحتياجه إلى الكشف.

ثانيًا: قلنا إنّ العرفاء يمكنهم فهم الدين العقلائي بمعونة الكشف والمشاهدة(1)، ولكنّ عددًا قليلًا في كلّ عصرٍ يصلون إلى حقائق العالم عن طريق الكشف والمشاهدة، وأيادي أكثر الناس قاصرةً عن الوصول إلى هذا المنال.

لماذا لم يأمر المعصومون عليهم السلام بترجمة الفلسفة؟

وكلام السيّد الحكيميّ أنّه إن كان تعلّم الفلسفة لازماً لفهم الدين، فلمَ لم يأمر النبيّ والأئمّة عليهم السلام بترجمة الفلسفة حتّى يفهم المسلمون الدين فهمًا عقليًّا؟ ولمَ لم يساعد الأئمّة عليهم السلام المترجمين للفلسفة؟ فهل قصّروا في أمر الدين؟! فجاء بنو العبّاس والمترجمون اليهود والنصارى فخدموا الإسلام بالترجمة!

في جواب هذا الكلام نسأل التفكيكيين، أكان من اللازم أن يأمر الأئمّة عليهم السلام بترجمة كلّ العلوم؟ أولم يكن في تأكيدهم على أخذ العلم والحكمة حتّى من المشرك والمنافق كفايةً عن الأمر بالترجمة؟ هيهات أن قصّر الأئمّة عليهم السلام في أمر تبليغ الدين وتعليمه، بل الحقّ أنّهم فعلوا ما كان الواجب لهم أن يفعلوه، ومنها أنّهم شجّعوا المسلمين على تعلّم العلم أينما كان، وأخذ الحكمة من أيّ أحدٍ. والحقّ أنّهم عليهم السلام لم يظهروا مخالفةً في أمر الترجمة - خلافاً لمُدعى التفكيكيين - وليس هناك ولا حتّى روايةً واحدةً تؤيّد مدّعاهم.

(1) ليس معنى هذا القول جواز أن يترك الناس التعلّم والتعليم رجاء أن يصلوا إلى حقائق الدين عن طريق الكشف والمشاهدة؛ لأنّ العرفان الحقيقي لا يحصل إلّا من عمل بوظائفه الشرعيّة، وإحدى هذه الوظائف تعلّم العلوم اللازمة، ومن هذه العلوم الفلسفة، فتحصيلها واجبٌ كفايًّا يجب على كلّ من يمكنه تحصيلها.

وأما القول عن خدمة بني العباس للإسلام، فجوابه أنه يمكن أن يفعل أعداء الإسلام شيئاً بنيتهم الخبيثة، ولكن صارت نتيجة عملهم نفع الإسلام ففي الحديث النبوي: «إنَّ الله يؤيِّد هذا الدين بأقوامٍ لا خلاق لهم في الآخرة» [المجلسي، بحار الأنوار، ج 100، ص 48، ح 13؛ ج 24، ص 361، ح 85]؛ وبتعبيرٍ آخر، إن كان هدف الخلفاء العباسيين من ترجمة الفلسفة وترويجها في المجتمع الإسلامي منع الناس عن الرجوع إلى أهل البيت، فهم لم يبلغوا هذا المقصد، بل نفس هذه المعارف صارت طريقاً إلى فهم معارف أهل البيت بشكلٍ أدقِّ وأعمق، فإدرك الناس عظمتهم، وزاد في حبِّ الشيعة لأهل البيت عليهم السلام.

فينتج عدم وجود محورٍ للقول بتوقف فهم الدين على تعلّم الفلسفة توقفاً إجمالياً.

المستوى الثالث: التأثير الإيجابي للفلسفة في فهم الدين

قبل السيّد الحكيمي عند الحديث عن الفلسفة تأثيرها الإيجابي في فهم الدين بوصفها معدداً لذلك، وقال:

«يمكن أن يساعد أمثال هذه التعقّلات [التعقّلات الاصطلاحية والرائجة في العلوم والفلسفات المختلفة] فهم الإنسان عموماً وفهمه الديني خاصةً، ولكن على مستوى "المعدّات" لا "الموجبات"؛ لأنّ جوهر الدين يدرك بالتعقل الفطريّ فقط» [حكيمي، اجتهاد وتقليد در فلسفه، ص 92؛ پیام جاودانه، ص 30 و31].

ويشير في موضعٍ آخر من كلامه، في ضمن قبول تأثير الفلسفة الإيجابي في فهم الدين، فيقول:

«هذا الأمر وهو أنّ بعض الأكابر كان يرى تعلّم الفلسفة مؤثراً في حصول الاستعداد للمباحث والمسائل، كلامٌ صحيحٌ وصائبٌ؛ لكن بقبولٍ وتبصرة.

القيّد هو توقُّر الشروط اللازمة والمناسبة لتعلُّم الفلسفة في طالب الفلسفة - وحتى في مدرّسها - كما صرّح وأكّده بعض الأكابر. والتبصرة هو التوجّه إلى أنّ أحسن وأعلى درجة الاستعداد، يحصل في رحاب دراسة الفلسفة دراسة انتقاديّة واجتهاديّة، لا دراسةً حفظيّةً وتقليديّةً - ولو كان تقليديًا في الاستدلال - وهذا أمرٌ واضحٌ [حكيمى، اجتهاد و تقليد در فلسفه، ص 195_196].

النقد

لقد وافق بعض رواد المدرسة التفكيكية على التأثير الإيجابي للفلسفة في فهم الدين، وأمّا بالنسبة إلى قيده وتبصرته فنقول:

كما صرّح السيّد الحكيمى، كان الأكابر من الفلاسفة والحكماء متفطنين لهذا القيّد وتلك التبصرة، بل زادوا إليهما قيودًا أخرى. وأمّا بالنسبة إلى قوله إنّ تعلم الفلسفة يكون "معدًّا" للفهم العقلانيّ لا "موجبًا" له، ويدرك جوهر الدين بالتعقّل الفطريّ فقط، فنقول: الفلاسفة والحكماء أيضًا يعدّون كلّ محاولات الإنسان الفكرية معدّة لإفاضة نور العلم والحكمة من قبل الله سبحانه، ولا يعدّ أحدهم هذه المحاولات "موجبةً" - بالمعنى الفلسفيّ للإيجاب - لفهم الدين، ولكن يمكن أن يستفاد من كلام السيّد الحكيمى أنّ "التعقّل الفطريّ" موجب لفهم الدين لا معدّد، وهذا الكلام ليس بصحيح؛ لأنّ التعقّل الفطريّ أيضًا معدّد لفهم الدين لا موجب، وكما قلنا سابقًا، التعقّل الفطريّ وإن لم ينحصر في التعقّل الفلسفيّ، فإنّه لا ينافيه أيضًا، والممارسة بالمسائل العقلية والفلسفية تساعد الإنسان في تقوية عقله الفطريّ.

ضرورة تعلُّم الفلسفة لفهم معارف الدين الحكيمية ضرورةً بالقياس المناسب في ختام هذا المقال أن نبين موضعنا في قبال السؤال القائل: هل

تعلّم ودراسة الفلسفة لازمٌ لفهم الدين أم لا؟ جوابنا: أنّ فهم معارف الدين الحكيمية والفلسفية في ظروفنا الحاضرة وللإفراد العاديين، متوقّف على دراسة الفلسفة، وهذا المدعى يستند على عدّة مقدمات:

1- القرآن والروايات مشحونةٌ بالمعارف الحكيمية والفلسفية

بما أنّ نيل السعادة لا يتحصّل للإنسان إلا من خلال العقائد الصحيحة والمطابقة للواقع، وتشكّل المعارف المرتبطة بالمبدأ والمعاد قسمًا هامًا من الدين، وثمة عددٌ كبيرٌ من الآيات والروايات مرتبطة بالعقائد، وبما أنّ هذه المعارف أيضًا ليست في مستوى واحدٍ؛ فبعضها سهلٌ وبسيطٌ يمكن فهمها لكلّ أحدٍ، وبعضها الآخر في نهاية الغموض والصعوبة، وقد أشير إلى هذه الدقائق والظرائف في مواضع عدّة من القرآن والروايات.

2- إدراك دقائق ولطائف الدين الحكيمية يطلب مستوىً عاليًا من

الاستعداد الذهني والروحي

كما أنّ إدراك اللطائف اللغوية والأدبية في القرآن والروايات ممكنٌ للمتخصّصين وحدهم، كذلك إدراك الأحكام الفقهية إنّما يتيسّر للفقهاء فقط، فيمكن أن يقال إنّ إدراك اللطائف والإشارات في مجال المعارف الحكيمية والفلسفية للقرآن والروايات أيضًا ميسّرٌ لمن يمتلك قوّةً عقليةً وفلسفيةً عاليةً.

3- هذه القوّة وهذا الاستعداد في الظروف الحالية يُكتسبان بدراسة

الفلسفة فقط

قلنا سابقًا إنّهُ يمكن أن ينال بعض الناس بمعونة التقوى وتهذيب النفس درجةً يشهدون فيها الحقائق الفلسفية للقرآن بعين القلب، كما أنّه يمكن أن يدرك بعض الناس هذه المسائل بالرياضة الفكرية وبمعونة ذكائهم العالي فقط، ولكنّ أكثر الناس ليسوا من الفريق الأوّل ولا من الفريق الثاني. ومن

أجل أن يتوصل هؤلاء إلى فهم المعارف الحكمية العميقة، لا بدّ لهم أن يدرسوا الفلسفة ويمارسوا التفكير العقليّ لمُدّةٍ من الزمن؛ ولذلك ندعي أن هذا الاستعداد لا يحصل لهم إلا بدراسة الفلسفة وتعلّمها.

يمكن أن يقال: هذا الاستعداد يمكن أن يحصل بالتفكير والتأمّل في مضامين الآيات والروايات، فأبيّ حاجةٍ إلى صرف الوقت لدراسة الفلسفة؟ نجيب عن هذا السؤال بجوابين: نقضيّ وحليّ:

أمّا الجواب النقضيّ فنقول: لِمَ لا تقولون هذا الكلام بالنسبة إلى علوم اللغة والأدب والتاريخ والفقّه والحقوق؟ بل تعتقدون أنّ من اللازم دراسة هذه العلوم دراسةً تفصيليّةً لفهم المسائل الأدبيّة والتاريخيّة والفقهيّة والحقوقيّة عند الرجوع إلى القرآن والروايات.

وأما الجواب الحليّ فنقول: إنّ فهم وإدراك دقائق وحقائق القرآن الفلسفيّة يتطلّب مقدّماتٍ كثيرةً، لا بدّ أن تدرس بشكلٍ مستقلٍّ؛ ولذا فالإنسان العاديّ إذا رجع إلى القرآن والروايات مباشرةً وبدون تحصيل هذه المقدّمات، لا يفهم منهما إلاّ فهمًا وإدراكًا بسيطًا، وفي المقابل من حصل على هذه المقدّمات بدراسة الفلسفة، بإمكانه أن يفهم القرآن ويستفيد بصدرٍ منشرحٍ وذهنٍ مستعدٍّ، من لطائفه وظرائفه بقدر استعداده وظرفيّته.

كلام بعض الأجلّة بالنسبة إلى ضرورة دراسة العلوم العقلية لإدراك دقائق القرآن الحكيمّة

في الحتام، لا بأس بأن نشير إلى كلام بعض الأكابر في هذا المجال:

نقل بعض المحققين المعاصرين عن المرحوم ميرزا أحمد ابن الآخوند الخراسانيّ صاحب كفاية الأصول أنّه كان يقول مرارًا لابنه: «من لم يدرس الفلسفة الإلهية ولم يفهمها جيّدًا، لا يمكنه فهم أخبار آل الرسول ﷺ في العقائد. وكما أن لا معنى للفقّه بدون الأصول، لا يتيسّر إدراك العقائد الحقّة

بدون قوّةٍ ومنّةٍ علميّةٍ وفلسفيّةٍ وبدون كلامٍ تحقيقيٍّ» [أشتياني، نقدي بر تهافت الفلاسفه غزالي، ص 80].

وأيضًا نُقل عن بعض تلامذة الآخوند أنّه كان يصرّح مرارًا في مجلس درسه: «هُؤلاء الذين لم يحصلوا الحكمة، محرومون من إدراك أخبار آل الرسول ﷺ في العقائد. هُؤلاء مجتهدون في الفروع ومقلّدون في الأصول» [أشتياني، منتخباتي از آثار حكماى الهى ايران ...، ج 4، مقدمه، ص 45، پاورقى].

أيضًا لا يرى السيّد الخميني كفاية الرجوع بشكلٍ مباشرٍ إلى الآيات والروايات والتأمّل فيها لإدراك مضامينها وفهمها، فيقول: «لا يظنّ الإنسان أنه قادرٌ على فهم آيات التوحيد - في سورة التوحيد المباركة، أو الآيات الأولى من سورة الحديد أو سائر الآيات - وكذلك الأخبار الشريفة والخطب والأدعية ومناجاة الأئمة ﷺ، وهي مشحونةٌ بالمعارف - بفكره المحض وظهورها العرفي. هذا خيالٌ باطلٌ ووسوسةٌ شيطانيّةٌ، فقد جعل الشيطان فخًا في طريق الإنسان لمنعه من المعارف الحقّة، وسدّ أبواب الحكمة والمعرفة، وإهلاكه في وادي الحيرة والضلالة. الله شاهدٌ وكفى به شهيدًا أن مقصودي من هذا الكلام ليس هو ترويج سوق الفلسفة الرسميّة والعرفان الرسميّ؛ بل مقصودي توجّه المؤمنين خاصّةً أهل العلم منهم إلى معارف القرآن وأهل البيت ﷺ وعدم نسيانها، ومقاصد بعثة الرسل وإنزال الكتب، الموجبة للسعادة الدنيويّة والأخرويّة كلّها، فيا حسرتاه على الإنسان، ما دام في هذه الدنيا فهو في حجبٍ مختلفٍ، لا يمكنه تشخيص طريق السعادة ولا يستقيظ من نوم الغفلة بنصائح الأنبياء والأولياء والعلماء، ولكنّه سيستيقظ من نومه حينما تضيع الفرصة لنيل السعادة، ولم يبقَ إلّا الحسرة والندم» [خميني، چهل حديث، ص 555].

- وكان الشهيد مطهري يعتقد أيضًا بأن هناك مطالب فلسفية في الآيات والروايات، لا يمكن فهمها بدون تعقلٍ فلسفيٍّ صحيحٍ، وهذه بعضها:
- 1- الإطلاق والإحاطة الذاتية والقيومية لله سبحانه (1).
 - 2- عدم خلو أيِّ مكانٍ وزمانٍ منه سبحانه (2).
 - 3- تقدّمه ﷺ على المكان والزمان والعدد (3).
 - 4- وحدته غير العددية (4).
 - 5- كونه مع كلِّ شيءٍ لا بالمقارنة، وخلوه عن كلِّ شيءٍ لا بالمزايلة (5).

(1) ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [سورة طه: 111]؛ ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [سورة فصلت: 54].

(2) قال الصادق عليه السلام: «... فَلَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ وَلَا يَشْتَعِلُ بِهِ مَكَانٌ وَلَا يَكُونُ إِلَى مَكَانٍ أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى مَكَانٍ» [الكليني، الكافي، ج 1، ص 126]؛ «محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة قال: سأل نافع بن الأزرق أبا جعفر عليه السلام فقال: أخبرني عن الله متى كان؟ فقال: متى لم يكن حتى أخبرك متى كان؟! سبحانه من لم يزل ولا يزال فردًا صمدًا لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا» [المصدر السابق، ص 88].

(3) قال عليٌّ عليه السلام في خطبته: «وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول لا شيء قبله، والآخر لا غاية له» [نهج البلاغة، الخطبة 85].

(4) من كلام لعليٍّ عليه السلام قال فيه: «واحدٌ لا بالعدد» [الهاشمي الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج 21، ص 535].

(5) من كلام عليٍّ عليه السلام أنه قال: «فَلَمْ يَخْلُ فِيهَا فَيُقَالَ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ، وَلَمْ يَنَأَ عَنْهَا فَيُقَالَ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ، وَلَمْ يَخُلْ مِنْهَا فَيُقَالَ لَهُ أَيْنَ» [الصدوق، التوحيد، ص 41].

- 6- كون كل شيء ملكاً له ورجوع كل شيء إليه (1).
- 7- كونه بسيطاً لا جزء له (2).
- 8- كون صفاته عين ذاته. [انظر: المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار الرسول، ج 1، ص 83]
- 9- كونه أولاً وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا (3).
- 10- كون أوليته عين آخريته، وظهوره عين بطونه (4).
- 11- كونه لا يشغله شأن عن شأن (5).
- 12- كلامه عين فعله وإبداعه (6). [مطهرى، مجموعته آثار، ج 6، ص 81 و 82]

ويقول العلامة حسن زاده آملي في مقام بيان ضرورة دراسة الفلسفة للناس العاديين لفهم معارف الدين الحكيمية والفلسفية: «توفيق نيل مستوى فهم الخطاب المحمدي لا يحصل بدون إدراك حقائق ولطائف الحكمة المتعالية والصحف العرفانية بالبرهان، إلا لمن كان مؤيدًا بالنفس القدسية، الذي لا يحتاج في إدراك الحقائق إلى الفكر والنظر، وغير صاحب هذه النفس

(1) ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [سورة آل عمران: 109].

(2) ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة التوحيد: 1].

(3) ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة الحديد: 3].

(4) راجع: الفيض الكاشاني، الوافي، ج 1، ص 472.

(5) «يَا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ» [ابن طاووس، مهج الدعوات ومنهج العبادات، ص 104].

(6) انظر: الحلبي، تقريب المعارف، ص 106 و 107.

القدسيّة إذا لم يدرك بالبرهان هذه الحقائق، فقلمه وعلمه في الأصول والعقائد والتفسير وشرح الآيات والروايات اقناعيان لا يقينيّ، ولو بلغ في حفظ المنقول ما بلغ» [حسن زاده آملی، قرآن و عرفان و برهان از هم جدایی ندارند، ص 21].

وهو في آخر فصلٍ من كتابه، ينصح ويوصي طلاب العلم والحقيقة بكلماتٍ نجعلها خاتمةً لمقالتنا هذه:

«كما أنّ للأدب كتبًا خاصّةً، وللرياضيات كتبًا خاصّةً، كذلك للمعارف العقلية التي هي أصول العقائد الحقّة المنطقية والبرهانية صحفٌ خاصّةٌ. وليعلم طلاب العلم - في أيّ لباسٍ ومرتبَةٍ كانوا - أنّ الصحف المنطقية والحكيمة والعرفانية الإسلامية الأصيلة، هي مدارج للعروج إلى فهم أسرار القرآن الكريم، وفهم معارف الجوامع الروائية. والحكمة والعرفان تفسيرٌ أنفسيٌّ للكشف الأتمّ المحمّديّ، ومصدر سعادة الدنيا والآخرة» [المصدر السابق، ص 75 و76].

الخاتمة

تبينت بعض الأمور في هذه المقالة نلخصها بما يلي:

- 1- تقوم فكرة التفكيك - التي ظهرت في القرن الهجريّ الأخير على يد الميرزا مهديّ الأصفهانيّ - على ضرورة فصل المناهج المعرفية فصلًا تامًّا.
- 2- يقبل أصحاب هذه المدرسة بعد التفكيك بين التعقل والتفلسف، بضرورة التعقل لفهم الدين وينكرون ضرورة التفلسف في هذا المجال .
- 3- تختلف مواقف أصحاب هذه المدرسة في مجال دور الفلسفة في فهم النصوص الدينية؛ فتارةً يدّعون أنّ الفلسفة مانعٌ وحجابٌ لفهم الدين، وتارةً يتراجعون عن هذا الموقف وينكرون تأثيرها الإيجابي فقط، وأخرى يقبلون تأثيرها الإيجابي في فهم النصوص الدينية على مستوى المسائل المعدّة لا

الواجبة.

4- أدلتهم لإثبات مانعية الفلسفة في فهم النصوص الدينية، هي أنّ الفلسفة توجب البعد عن فهم الحقائق الدينية، وأنها توجب الحيرة، وأنها توجب البعد عن العقل الفطري، وأنّ الاستفادة من الفلسفة لفهم الدين توجب هدم المعارف الدينية، وتوجب الضلالة، ولكنّ هذه الأدلة كلّها مردودة ومرفوضة، ولا تؤيد مدعاهم إطلاقاً.

5- أدلتهم لأثبات أنّ الفلسفة لا تؤثر في فهم النصوص الدينية تأثيراً إيجابياً؛ وادعاهم أنّ توقّف فهم الدين على تعلّم الفلسفة يوجب نقض غرض البعثة، ويستلزم احتياج القرآن إلى الفلسفة، وأنّ معارف التي جاء بها الأنبياء سهلةً وبسيطةً ولا تحتاج إلى تعلّم المعارف الفلسفية وسائر مذكوره؛ كلّها ادّعاءاتٌ ضعيفةٌ وغير تامّة.

6- الحقّ أنّ تعلّم الفلسفة يساعد الأفراد العاديين على فهم النصوص الدينية في مجال المعارف العقلية، ولكنّ هذا ليس ضرورياً لكلّ الناس، بل يمكن لبعض الناس فهم هذه النصوص بمعونة الكشف، وعن طريق تهذيب النفس، وهؤلاء قليلون جداً.

قائمة المصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة

الصحيفة السجّادية

1. ابن سينا، الحسين، الشفاء [الإلهيات]، تحقيق حسن حسن زاده آملي، دفتر تبليغات اسلامي - قم، 1376 ش.
2. ابن طاووس، علي بن موسى، مهج الدعوات ومنهج العبادات، تصحيح: أبو طالب كرمانی، دار الذخائر - قم، 1411 هـ.
3. اصفهانی، میرزا مهدي، تقريرات، ج 2، مركز اسناد آستان قدس رضوی - مشهد، شماره 12455.
4. الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق وتصحيح محمدرضا شفيعي كدکني، دار أم القراء للطباعة والنشر - القاهرة.
5. آشتياني، سيد جلال الدين، منتخباتي از آثار حکماي الهي ايران، ج 4، دفتر تبليغات اسلامي - قم، 1378 ش.
6. آشتياني، سيد جلال الدين، نقدي بر تهافت الفلاسفه غزالي، دفتر تبليغات اسلامي - قم، 1378 ش.
7. الأمدي التميمي، عبد الواحد، غرر الحكم، تصحيح حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، 1407 هـ.
8. تهراني، جواد، عارف و صوفي چه می گویند؟، واحد تحقیقات اسلامي بنياد بعثت - تهران، 1363 ش.
9. چالمرز، آلن. اف، چيستی علم: در آمدی بر مکاتب علم شناسی فلسفی، ترجمه سعيد زيباکلام، سمت - تهران، چاپ دوم، 1379 ش.

10. حسن زاده آملی، حسن، قرآن و عرفان و برهان از هم جدایی ندارند، مؤسسه مطالعات و تحقیقات فرهنگی - تهران، 1370 ش.
11. حکیمی، محمدرضا، اجتهاد و تقلید در فلسفه، دفتر نشر فرهنگ اسلامی - تهران، 1378 ش.
12. حکیمی، محمدرضا، الحیة، دفتر نشر فرهنگ اسلامی - تهران، چاپ پنجم، 1367 ش.
13. حکیمی، محمدرضا، پیام جاودانه، دلیل ما - قم، 1382 ش.
14. حکیمی، محمدرضا، شرف الدین، دفتر نشر فرهنگ اسلامی - تهران، چاپ دوم، 1375 ش.
15. حکیمی، محمدرضا، مکتب تفکیک، دفتر نشر فرهنگ اسلامی - تهران، 1375 ش.
16. حکیمی، محمدرضا، عقل خود بنیاد دینی، ماهنامه همشهری، آذر 1380 هـ. ش.
17. الحلبي، أبو الصلاح تقي بن نجم، تقریب المعارف، تصحیح: فارس الحسون [تبریزیان]، الهادی - قم، 1404 هـ.
18. خمینی، سید روح الله، شرح چهل حدیث، مؤسسه تنظیم و نشر آثار امام خمینی - تهران، 1373 ش.
19. الراوندي، سعيد بن هبة الله، الدعوات، مدرسة الإمام الهادي عليه السلام - قم، 1407 هـ.
20. سيدان، سيد جعفر، مکتب تفکیک یا روش فقهای امامیه، اندیشه حوزه، آذر و دی 1378 هـ. ش.
21. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، دار إحياء التراث العربي - بيروت، چاپ سوم، 1981 م.

دور الفلسفة في فهم النصوص الدينية من وجهة نظر المدرسة التفكيكية.. عرضٌ ونقدٌ
225

22. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، المبدأ والمعاد، تصحيح سيدجلال الدين آشتياني، دفتر تبليغات اسلامي - قم، چاپ سوم، 1380 ش.
23. الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، الأعلمي - بيروت، الطبع الرابعة، 1400 هـ.
24. الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، تصحيح: هاشم حسيني، جامعه مدرسين - قم، 1398 هـ.
25. الصدوق، محمد بن علي، الخصال، تصحيح وتعليق علي أكبر غفاري، دار التعارف للمطبوعات - بيروت، 1348 ش.
26. الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار، انتشارات اسلامي - قم، 1361 ش.
27. الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات في علوم آل محمد عليه السلام، تصحيح وتعليق علي رضا زكي زاده رناني، وثوق - قم، 1389 ش.
28. الطباطبائي، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، 1411 هـ.
29. الطباطبائي، محمدحسين، هامش البحار، تهران، دار الكتب الاسلامية.
30. الفيض الكاشاني، محمدحسن بن شاه مرتضى، الوافي، كتابخانه امام امير المومنين عليه السلام - اصفهان، 1406 هـ.
31. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تصحيح علي أكبر غفاري ومحمد آخوندي، دار الكتب الإسلامية - تهران، 1407 هـ.
32. المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار، دار الكتب الإسلامية - تهران.
33. المجلسي، محمدباقر، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، تصحيح: هاشم رسول محلاقي، دار الكتب الاسلامية - تهران، 1404 هـ.

34. محمدى رى شهرى، محمد، خرد گرايى در قرآن و حديث، دار الحديث
- قم، 1378 ش.
35. مطهرى، مرتضى، مجموعه آثار، چاپ هشتم، صدرا - تهران، 1380
ش.
36. ملكى ميانجى، محمدباقر، توحيد الإمامية، وزارت فرهنگ و ارشاد
اسلامى - تهران، 1373 ش.
37. الهاشمى الخوئى، ميرزا حبيب الله، منهاج البراعة فى شرح نهج
البلاغة، تصحيح إبراهيم ميانجى، المكتبة الإسلامية - تهران، الطبعة
الرابعة، 1400 هـ.